دلالات السياق القرآني (سورة المرسلات) انموذجاً

المدرس المساعد محمد أحمد إبراهيم

المقدمة : دأب المسلمون منذ نزول القرآن الكريم على معرفة سرِّ إعجازه و فهم دلالاته , فقد نشطت الجهود بشكلٍ متتابعٍ لرصد كلّ ما فيه من أسرار , و من ذلك الظواهر اللغوية في نظمه و لفظه و صوته و سياقه .

و من هنا فقد سلطت الدراسة الضوء على (سورة المرسلات) لكشف سياقات الدلالة القرآنية , وما اشتملت عليه من ظواهر لغوية , فكان العنوان (دلالات السياق القرآني سورة المرسلات انموذجاً) .

إنَّ هذه الدراسة تعالج ثلاثة سياقات دلالية , سُبِقت بتمهيدٍ بيّنتُ فيه الدلالة المعجمية للسياق , ثم تعريفه اصطلاحياً , و بعد ذلك بيّنتُ بعض آراء علمائنا لمفهوم السياق اللغوي .

أمّا سياقات الدلالة القرآنية في السورة فقد قسمتها إلى : المطلب الأول (سياق القسم و جوابه) , والمطلب الثاني (سياق الاستدلال على القيامة و علاماتها) , ثمّ جاء المطلب الثالث (سياق المقابلة بين جزاء الكافرين و جزاء المؤمنين) و جاء هذا التقسيم على وفق ما جاء في السورة من سياق , ثمّ جاءت الخاتمة و أهم نتائج الدراسة .

إنَّ كلَّ باحث قد تيسر له من أدوات البحث ما يعينه في كشف جانبٍ من أسرار الكتاب الحكيم , و مع ذلك كلّه فهو الكتاب الذي لا تنفد أسراره , أسأل الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم , و آخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

التمهيد (مفهوم السياق)

لا بدّ لنا من وقفة لمعرفة مفهوم السياق المعجمية في بادئ الأمر, فقد أجمعت المعاجم العربية على أنّه يدل على التتابع [١] , و يدلّ السياق القرآني على أنّه ((تتابع المفردات و الجمل و التراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى)) [٢] , و الدلالة السياقية في القرآن الكريم تعني ما : ((تحمله نصوص لغوية لا بدّ من الاطلاع على طبيعة تآليفها و تراكيبها و معاني مفرداتها , و كلها تحتاج إلى معرفة لغوية ومعرفة في حدود زمنية معينة هي التي نزلت فيها .)) [٣] .

إنّ السياق هو الذي يفرق بين معاني المشترك اللفظي , إذ إنَّ المعنى المعجمي وحده لا يحدد المعنى , و إنّ التحديد الدقيق لدلالة الألفاظ إنّما يرجع إلى السياق , لأنّه يفرض قيمة واحدة على اللفظ دون الاحتمالات الأخرى [٤] , و هو بدوره يشتمل على السياق المعجمي , والصوتي , و الصرفي , و النحوي , فضلاً عن ((السياق الثقافي , و أقوال المتخاطبين و غير المتخاطبين و أفعالهم , و كلّ الأشياء المتصلة اتصالاً وثيقاً بالقولة المستعملة)) [٥].

و السياق القرآني يشمل هذه المستويات كلَّها, فضلاً عن ما وظفه ((النص القرآني توظيفاً أكسبه صفة الإعجاز , إذ نجد أنّ لكلّ لفظ قرآني موضعه الذي يضيف إلى السياق معنى و تناغماً لا يمكن لغيره أن يحلّ محله عدا ما يوحيه اللفظ من معنى عبر مستواه ...)) [٦] .

و لا شكّ أنّ أهمية الدلالة السياقية تنطلق من موضوعيتها في الدراسة المتمثلة بعدم خروجها عن البنية اللغوية , و السياق الثقافي المحيط بالنص , و بذلك تتوجه العناية بالدرجة الأساس إلى العناصر اللغوية نفسها و الأنماط التي تربط النص .

و هي تمثل أيضاً سمة تراكمية للعناصر التركيبية اللغوية , و تطبيقها يكشف عن الدور الذي يؤديه تسلسل العناصر اللغوية و تفاعل بعضها مع بعض في عمليتي الفهم و الإفهام الضرورتين في عملية التخاطب اللغوي [٧] .

و قد تعرض علماؤنا الأجلاء لأهمية السياق وعدّوه أحد الآليات اللغوية التي لا يستغنى عنها للتوصل إلى الدلالة , فسيبويه (رحمه الله) (ت ١٨٠ هـ) عقد بابين في كتابه الأول ((هذا باب اللفظ للمعاني)) [٨], و الثاني ((هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض)) [٩] , حيث عالج في هذين البابين مسألتين سياقيتين وهما الاشتراك اللفظي وبعض الظواهر التركيبية للكلام كالحذف .

وقد نقل سيبويه آراء الخليل بن أحمد (رحمه الله) (ت ١٧٥ هـ) في الكتاب و إذا تأملناها يتضح لنا أنّ أوائل النحاة اعتمدوا على السياق اللغوي في دراسة التراكيب النحوية , فمن أمثلة اعتماد الخليل على السياق اللغوي ما نسبه إليه تلميذه سيبويه في معرض تحليله لقول الشاعر :

((إذا تغنّى الحمامُ الوُرْقُ هَيَّجَني و لو تغرَّبت عنها أُمَّ عمّارِ

قال الخليل رحمه الله : لما قال هَيَّجَني عُرف أنّه قد كان ثمَّ تذَكُّرٌ لتذكرةِ الحمام و تهيجه , فألقى ذلك الذي قد عُرف منه على أمّ عمَّارٍ , كأنه قال : هيَّجني فذكَّرني أمّ عمَّار .)) [١٠] , فهو يشير إلى مسألة الحذف و التقدير الذي تفسره الدلالة السياقية . و هكذا تنبه سيبويه رحمه الله إلى المتغيرات الخارجية في ترتيب عناصر الجملة , و كأنّه يرسم بذلك لأبناء اللغة أن يساقوا بين هذه المتغيرات و الوجوه الجائزة المناسبة عند استعمال اللغة [١١] . و قد اقترب مصطلح (مقتضى الحال) عند البلاغيين إلى حدٍّ كبيرٍ من مصطلح (سياق الحال) في الدرس اللغوي الحديث , و اشترك معه في أهمّ خاصيّة , و هي الاهتمام بالجانب الاجتماعي للغة , إلّا أنّه أضيق دلالةً من مصطلح سياق الحال [١٢], و قد استعمل البلاغيون المقام بشكلٍ معياري جمالي , أي يحكمون بمراعاة بلاغة المقام و بعدم مراعاته [١٣] .و قد جاءت هذه الدراسة لتبين أهمية السورة في الكشف عن بطلان ادعاء الكافرين في عدم وقوع يوم القيامة من خلال الاستدلال على وقوعه بالأدلة الواضحة و البراهين الساطعة , ابتداءً من تسمية هذه السورة المباركة بـ (سورة المرسلات) لمناسبة أول آية فيها , و هي من السور المكية و عدد آياتها خمسون آية , و قد روي عن النبي ﷺ , عندما سئل : أسرع الشيب إليك يا رسول الله ,فقال:((شيبتني سورة هود و الواقعة و المرسلات و عمَّ يتساءلون)) [١٤] . و اللافت في هذه السورة المباركة أنّها تصور مشاهد القيامة و أحوالها , و ما يتضمن ذلك اليوم من فصل بين العباد , إذ أثّرت هذه السورة في نفس النبي ﷺ , إذ ورد عنه قوله : ((من قرأ سورة المرسلات كتب أنّه ليس من المشركين)) [١٥], و ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ((من قرأها عرَّف الله بينه و بين محمد)) [١٦], إذ يقول الشيخ الشيرازي : ((لا شكّ أنّ الثواب و الفضيلة تكون لمَنْ يقرؤها و يتفكر و يعمل بها)) [١٧] . من خلال آيات (سورة المرسلات) المباركة و سياقاتها القرآنية تناول البحث جوانب اللغة موظفاً إياها في فهم المعنى , و لا يخفى علينا أنّ هذا المنهج ذو أهمية عظيمة تنبه إليه علماؤنا قديماً في فهم و تفسير الآيات القرآنية ((حيث أشاروا إلى قاعدة مهمة و هي تفسير القرآن بالقرآن)) [١٨] , وهو ما يعرف حديثاً بالمنهج السياقي , و الذي يشمل السياق اللغوي , و السياق غير اللغوي [١٩] .

المطلب الأول

سياق القسم و جوابه

ابتدأت السورة المباركة بسياق القسم , و هو بدوره يدلّ على حصول أمر عظيم فيما بعد ذلك يقسم الله سبحانه و تعالى على وقوعه ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۞ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۞ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۞ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۞ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۞ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ المرسلات١-٧ .

اختلف المفسرون في جنس هذه الكلمات الخمس (المرسلات , العاصفات , الناشرات , الفارقات , الملقيات) , أهي جنس واحد أم أجناس مختلفة ؟ فمنهم مَنْ قال : إنّها الملائكة , و منهم مَنْ قال : إنّها جنسان الملائكة و الرياح , و منهم مَنْ قال : إنّ بعضاً منها يعني القرآن [٢٠] .

و الذي يبدو من تناسب الآيات ((حمل المذكورات على إرادة ملائكة الوحي كنظيراتها في مفتتح سورة الصافات ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۞ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۞ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ الصافات ١-٣)) [٢١] , لما لهذه الأوصاف من انطباق على الملائكة ؛ لأنّ المقصود من القسم التنبيه على جلالة المقسم به و شرف الملائكة و علو رتبهم أمر ظاهر , و ذلك لشدة مواظبتهم على طاعة الله سبحانه و تعالى , و إنّهم أقسام , منهم مَنْ يُرسل لإنزال الوحي , و منهم مَنْ يلزم بني آدم لكتابة أعمالهم , طائفة بالنهار , و طائفة بالليل , و منهم مَنْ ينزل لقبض الأرواح , و منهم مَنْ ينزل من البيت المعمور إلى الكعبة المشرفة [٢٢] .

و لحصول التناسب بينها و بين الآيات التي بعدها (القسم مع المقسم له) أي حقيقة البعث و النشور ((نعلم أنّ تغييراً عظيماً يحصل في الدنيا عند البعث حيث العواصف الشديدة و الزلازل و الحوادث المهيبة من جهة , ثم تشكيل محكمة العدل الإلهية من جهة أخرى و عندها تنشر الملائكة صحائف الأعمال و تفصل بين المؤمنين و الكافرين , و تلقي بالحكم الإلهي في هذا المجال)) [٢٣] .

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ و العُرف يدلّ ((على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض)) [٢٤] , فيكون منصوباً على الحال أي متتابعة [٢٥] , و الوجه الآخر أنّه انتصب على المفعولية و المعنى ((أرسلت للإحسان و المعروف)) [٢٦] , و هو ما كان معروفاً من الأمر و النهي , و جاء تأنيث (المرسلات) باعتبار أنّها جماعات من الملائكة أُرسلت بهذا الأمر ((و المعنى أقسم بالجماعات المرسلات من ملائكة الوحي)) [٢٧] .

﴿ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ جاءت هذه الآية الكريمة معطوفة على الآية السابقة , و عُطِفَت بحرف الفاء للدلالة على الترتيب و التعقيب [٢٨], و العصف ((يدلُّ على خفةٍ و سرعة)) [٢٩] , و منه قوله تعالى : ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ سورة يونس ٢٢ , أي ((أنّها تستخِف الأشياء فتذهب بها , تَعْصِف بها , و يقال أيضاً مُعصِفة , قال العجاج [الرجز] : و المُعْصِفاتِ لا يزلْنَ هُدَّجا)) [٣٠] .

و المعنى : لمّا أُرسل الملائكة و أُمروا بهذه الأوامر فهم عصفوا في طيرانهم كما تعصف الرياح الشديدة , وقيل ((يعصفون بروح الكافر)) [٣١] , و هو استعارة للسرعة [٣٢] .

﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴾ قسمٌ آخر لوظيفة الملائكة في نشر الصحف , و فيه معانٍ أخر منها : نشروا أجنحتهم عند نزولهم على الأرض , أو نشروا الشرائع , أو نشروا الرحمة و العذاب ... و كلّ ذلك يدلّ على أنّها ((تنشر ما وكلّت به)) [٣٣] .

﴿ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴾ دلّ فَرَقَ ((على تمييز و تزييل بين شيئين)) [٣٤] , فرّقت بين الحقّ و الباطل , و بين الحلال و الحرام , و الفرق هو ((صفة متفرعة على النشر المذكور)) [٣٥] .

﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۞ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ و المعنى أنّهم يلقون الذكر إلى الأنبياء سواء أكان مطلق الذكر من العلم و الحكمة , أم قصد به القرآن الكريم [٣٦] , (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) مفعول له منصوب , و جاءت (أو) للتنويع [٣٧] , و وجه آخر : إنّهما منصوبان على الحال , و المعنى عاذرين و منذرين , و قيل : هما مصدران , بإسكان الدال , وانتصابهما على البدل من (ذِكْرًا) [٣٨] .دلّت الجموع في الآيات السابقة على مجموعات من الملائكة الذين أمرهم الله سبحانه و تعالى بـ ((النشر , و الفرق , و إلقاء الذكر ...)) [٣٩] و سرعة السير , و جاءت الصفات مذكورة و الموصوف محذوف لهذا وقع الاختلاف في تفسيرها مما تعطي دلالات و احتمالات لكلِّ ما ذكر فيها من أقوال و تفسيرات , و هو ما فتح المجال أمام المتلقي للتأويل و التدبر و الاتساع في المعنى الدلالي , لعظم هذه الأمور وما يتبعها فيما بعد من علامات يوم القيامة و أهوالها , و قد أكدت تلك الأمور العظام بالمصادر (عصفاً , و نشراً , و فرقاً) .

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ ثم جاء جواب القسم , و (ما) موصولة , و المعنى : إنّ الذي توعدونه لواقع فعلاً يوم القيامة ((بما فيه من العذاب و الثواب)) [٤٠] الذي سيتحقق لا محالة منه .

المطلب الثاني

سياق الاستدلال على القيامة و علاماتها

ذكر سبحانه و تعالى في كثير من السور [٤١] علامات انقطاع العالم الدنيوي و بداية العالم الأخروي , و ما يتصل به من أهوال و أحداث تمهد لهذا اليوم العظيم .

و قد اشتملت سورة المرسلات على عدد من هذه العلامات و هي :

١ – قوله تبارك اسمه : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ المرسلات ٨ , و الطمس ((أصلٌ يدلّ على محو الشيء و مسحه)) [٤٢] , فيشير سبحانه بهذه العلامة بأنَّ النجوم إذا ((مُحِيَ أثرها من النور و غيره)) [٤٣] كان يوم القيامة , و يحتمل أنّ معنى الطمس إزالة النور أو ((مُحقت ذواتها و هو موافق لقوله تعالى " انتثرت , انكدرت ")) [٤٤] .

٢ – قوله عزَّ و جلَّ : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ المرسلات ٩ , فرج ((يدلّ على تفتّح في الشيء . من ذلك الفرجة في الحائط و غيره)) [٤٥] , أي انشقت السماء , و يدلّ عليه قوله سبحانه و تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ الفرقان ٢٥ , و قوله تبارك و تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ الانشقاق ١ .

٣ – قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ المرسلات ١٠ , و النسف هو ((كشف الشيء . و أنتسفت الريح الشيءَ : مثل التراب و العَصْف , كأنها كشفته عن وجه الأرض و سلبته , و نَسْفُ البناءِ : استئصاله قطعاً)) [٤٦] , لذا دلّ على أنّها سوف تقلع و تزال من مكانها [٤٧], و يدلّ عليه قوله عزّ و جلَّ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ طه ١٠٥ .

٤ – و قوله سبحانه و تعالى : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ المرسلات ١١ , ((و التوقيت : تحديد الأوقات : تقول : وقَّتُهُ ليوم كذا , مثل أجَّلْتُهُ . وقرئ ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ وقّتْ ﴾ مخففة , و" أُقِّتَتْ " لغة . و المَوْقِت مَفْعِلٌ من الوقت)) [٤٨], و هو تعيين الوقت ((الذي تحضر فيه للشهادة على الأمم)) [٤٩] , و هو نظير لقوله تعالى : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الأعراف ٦ , و قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ المائدة ١٠٩ , [٥٠] .

ثم يأتي قوله تعالى : ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ المرسلات ١٢, يدلّ أجل على ((غاية الوقت في محلِّ الدَّين و غيره)) [٥١] , و يدلّ الضمير في قوله سبحانه (أُجِّلَتْ) على تلك العلامات التي تصاحب وقوع القيامة , و هو يوم الفصل ((يفصل الرحمن بين الناس فيما كانوا يختلفون فيه من العقائد , و النظريات , و يدرك المرء على وجه اليقين الدوافع التي كانت وراء أعماله و توجهاته الدنيوية...ومنه قوله تعالى :﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ السجدة ٢٥)) [٥٢] .و قد تدلّ أيضاً على ((ضرب الأجل للشيء و أن يكون الضمير المقدر فيه راجعاً إلى الرسل)) [٥٣] , حيث يقول تعالى : ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ معجّباً عباده من هول ذلك اليوم و شدّته , و المعنى ما أعظم ذلك اليوم بفعل حصول هذه الأهوال و التغيرات الجسيمة في العالم الدنيوي , ثمَّ دلَّ عليه بعد ذلك , و أيّ يوم هو ؟ فجاء الجواب : ﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ المرسلات ١٣ , ((ليوم يفصل الله فيه بين خلقه القضاء , فيأخذ للمظلوم من الظالم , و يجزي المحسن بإحسانه , و المسيء بإساءته .)) [٥٤] , ((و قد جاء هذا الحوار لبيان عظمة ذلك اليوم , و يا له من تعبير بليغ عميق لذلك اليوم ... إنّه يوم الفصل)) [٥٥] . ثمَّ جاء قوله سبحانه و تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ المرسلات ١٤ , حيث جمعت الآية الكريمة بين استفهامين (وَمَا أَدْرَاكَ ؟ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ؟) و هما مستعملان في معنى التهويل و التعجب و تفخيم أمر ذلك اليوم [٥٦] , و الآية وقعت في موقع الحال من قوله تبارك اسمه : ﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ , و الواو للحال , و الرابط إعادة لفظ صاحب الحال عوضاً عن ضميره , ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه : ﴿ الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۞ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ ﴾ القارعة ١-٣ , و إعادة المرجع بلفظه رابط أقوى من إعادة الضمير عليه [٥٧] , و ((إنّما أُظْهِرَ في مقام الإضمار لتقوية استحضار يوم الفصل قصداً لتهويله)) [٥٨] . و قد دلّت الأفعال المبنية للمجهول (طُمِسَتْ , فُرِجَتْ , نُسِفَتْ , أُقِّتَتْ) على عظم فاعلها , فاستغني بذكره , فأُقيم المفعول به مقامه تعظيماً له سبحانه و تعالى , و أنّه أدعى للتفكر و التدبر بعظيم قدرته جلّ اسمه من خلال إنشاء هذه الموجودات المادية ثمّ صيرورتها إلى العدم , و ما يحدث لها من تغير و تبدل .

و ورد (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان , و الأسماء بعدها (النجوم , السماء , الجبال , الرسل) رفعت بفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعدها [٥٩] , وقد تضمنت هذه الجمل معنى الشرط المتحصل من الظرف (إذا) و جوابه محذوف يدلّ عليه القول ((فإذا طُمِسَتْ النجوم ... وقع ما توعدون , أو جوابه " لأي يوم أجلت " على إضمار القول , أي يقال " لأي يوم أجلت " فالفعل في الحقيقة هو الجواب)) [٦٠] .

و قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات ٢٤ , الويل : الهلاك [٦١] , و هؤلاء المكذبون بيوم الدين و ((بالنبوة و المعاد و بكلِّ ما ورد عن الأنبياء عليهم السلام و أخبروا عنه)) [٦٢] لهم الهلاك يوم القيامة و العذاب الشديد , و قيل : ويلٌ وادٍ في جهنم أُعِدَّ لهم [٦٣] . و قد سوغ الابتداء بالنكرة (ويلٌ) لما فيه من معنى الدعاء و ((هو في أصله مصدر منصوب سادٌ مسد فعله , و لكنه عُدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك و دوامه للمدعو عليه . و نحوه (سلامٌ عليكم) و يجوز ويلاً بالنصب , و لكن لم يقرأ به .)) [٦٤] , و المعنى إذا كانت هذه الحوادث كلّها كان يوم القيامة و هلك المكذبون به لما ينالهم من عقاب [٦٥] . و جاء (يومئذٍ) ظرف متعلق بـ (ويلٌ) ((و التنوين عوض عن جملٍ محذوفة تقتبس من السياق , و التقدير : يوم إذ طُمست نجوم , و ما كان بعدها)) [٦٦] , و قوله (للمكذبين) خبرٌ لقوله (ويلٌ) حيث يكون التكذيب صفة ملازمة لهم . و لا يخفى ما لفواصل الآيات الكريمة من تناسق و انسجام من خلال تناسب الإيقاع الصوتي في موسيقى فواصل الآيات , بما توحي من معاني تلك الأهوال التي تصاحب القيامة , حيث يندهش الخلائق من تغير هذا النظام الكوني المحكم المنضبط و تبدله ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ إبراهيم ٤٨ , و مصاحبة ذلك المشهد صمت الخلائق جميعاً ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ طه ١٠٨ , حيث ناسب هذا الموقف صوت التاء في نهاية فواصل الآيات (طُمِسَتْ , فُرِجَتْ , نُسِفَتْ , أُقِّتَتْ) باعتباره صوت مهموس [٦٧] .

ثم جاء الإنكار عليهم بقوله سبحانه وتعالى :﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۞ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۞ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات ١٦ – ١٩ , إذ جاء الاستفهام بالهمزة لتقرير معاني الجمل بعدها , من هلاك الأولين بسبب إجرامهم , ((لأنّ الإستفهام في الأصل إنكاري , و قد دخل على نفي , و نفي النفي إثبات , و يعبر عنه بالاستفهام التقريري)) [٦٨] , و قوله (نُتْبِعُهُمُ) فعل مضارع ((فهو يتناول الحال والاستقبال ولا يتناول الماضي)) [٦٩] , و قد قُرِئ بجزم (نتبعهم) عطفاً على (نهلك) و ليس استئنافاً [٧٠] , و على هذا يكون المعنى المراد به الماضي لا المستقبل [٧١] , و لكن سياق الآيات يدلّ على أنّه يشمل الجميع لقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ المرسلات ١٨ , ((أي هذا الإهلاك إنّما نفعله بهم لكونهم مجرمين , فلا جرم عمَّ في

جميع المجرمين لأن عموم العلة يقتضي عموم الحكم)) [٧٢] . و قد تكررت في السورة المباركة الآية ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عشر مرات , ((فقيل : ذلك لمعنى التأكيد فقط)) [٧٣] , و قيل : إنّها تكررت زيادة في الترهيب و الترغيب , إذ اختصت كلُّ آية بسياقها الذي وردت فيه , بما يقتضي التصديق , ((فجاء الوعيد على التكذيب)) [٧٤] في مقام الترهيب و الترغيب ((مستساغ حسنٌ , لا سيما إذا تغايرت الآيات السابقة)) [٧٥] . كذلك جاء تقرير و إنكار في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۞ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات ٢٠-٢٤ , و قوله جلّت قدرته : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۞ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات ٢٥- ٢٨ , وتدلّ هذه الآيات المباركة ((على توحد الربوبية نظير البيان السابق في الآيات المتقدمة , و كذا في كونه حجة على تحقق يوم الفصل , فإنّ الربوبية تستوجب خضوع المربوبين لساحتها و هو الدين المتضمن للتكليف , و لا يتمُّ إلا بجعله جزاءً على الطاعة و العصيان , و اليوم الذي يجازى فيه بالأعمال هو يوم الفصل)) [٧٦] , و قد خرج الاستفهام في الآيات السابقة إلى التقرير و الإنكار عليهم , لأنّه ((يستنتج من قدرته تعالى على خلق الإنسان الكامل الشريف من نطفة حقيرة بأنّ الله تعالى نعم القادر " فقدرنا فنعم القادرون ")) [٧٧] , و هذا دليل اعتمده مرات عدة ؛ ليثبت أنّ الله سبحانه و تعالى قادر على البعث و النشور , قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الحج ٥ – ٦ .

و الدليل الآخر قوله عزّ و جلّ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۞ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ و كَفَتَ ((يدلّ على جمع و ضمّ . و من ذلك قولهم : كفَتُّ الشيءَ , إذا ضممته إليك , قال رسول الله ﷺ في الليل " و اكفتوا صبيانكم " يعني ضموهم إليكم و احبسوهم في البيوت)) [٧٨] , و جاء التنكير في قوله (أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا) ((للتفخيم كأنّه قيل : أحياءً لا يعدّون , و أمواتاً لا يحصون)) [٧٩] , و المعنى ((أنّهم يمشون عليها ما داموا أحياءً , فإذا ماتوا ضمتهم إليها في جوفها)) [٨٠] . ثمّ يأتي التقرير لنعمة الجبال من أنّها رواسي تُثَبِّتُ بها طبقات الأرض , إذ أثبت علم الجيلوجيا الحديث أنّ ضعف الجبل الظاهر على وجه الأرض موجود في باطنها ؛ لكي يثبت طبقات الأرض , و معنى شامخات : ((يقال جبلٌ شامخٌ أي عالٍ)) [٨١] . وورد التنكير أيضاً في قوله ((رواسيَ شامخات , و ماءً فراتاً ؛ لإفادة التبعيض ؛ لأنّ في السماء جبالاً , قال تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ النور ٤٣ , و فيها ماءٌ فراتٌ كثير , بل هي منبعه)) [٨٢] , و هذه البراهين و الحقائق المادية المشاهدة للعيان كلها دليل على عناد هؤلاء المكذبين , و دلّ الله سبحانه عليها ؛ لأنّ الكفار- من عادتهم - يطلبون آياتاً و براهين مادية محسوسة قال سبحانه : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۞ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ الإسراء ٩٠ – ٩٤ .

و اتجهت دلالة النون في الأفعال المضارعة (نخلقكم , نجعل) على تعظيم الفاعل , و هو الله سبحانه و تعالى , من خلال دلالتها على الضمير المستتر وجوباً فيها تقديره (نحن) , و انتصب قوله (أحياءً) و (أمواتاً) بفعل محذوف يدلّ عليه ما سبقه , و التقدير (تكفتكم أحياءً و أمواتاً) , و قيل : هما منصوبان على الحال , و جاء الفعل (وجعلنا) بمعنى صيَّرنا فأخذ مفعولين , الأول (رواسيَ) , و الثاني (ماءً) , و جاء (فراتاً) نعت لـ (ماءً) , و الفرات هو الماء العذب [٨٣] .

المطلب الثالث

سياق المقابلة بين جزاء الكافرين و جزاء المؤمنين

بعد أنّ بيَّن الله سبحانه و تعالى دلائل قدرته على البعث و النشور , و علامات القيامة و أهوالها , انتقل بعد ذلك إلى بيان حال المكذبين في يوم القيامة , فقال تبارك و تعالى : ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۞ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۞ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۞ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات ٢٩ – ٣٤ , . الانطلاق هو الانتقال من حال الموقف (المحشر) إلى جهنم التي وعد الله بها المكذبين , من غير مكثٍ أو توقف , ثم بيَّن سبحانه أنَّ هذا الانطلاق (إِلَى ظِلٍّ) و أيُّ ظلٍ هذا ؟ له ثلاث شعب , و قيل : ((إنّ الشكل المثلث أول الأشكال , و هو أصلها , و منه تتركب بقية الأشكال , و هو شكل

إذا نصب في الشمس كيفما نصب على أي ضلع كان من أضلاعه , لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه , فأمر الله سبحانه هؤلاء الجهنميين بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكماً بهم , و سخرية منهم .)) [٨٤] , و المقصود بالظل هو دخان جهنم , و ((أنّه غير ظليل , و أنّه لا يغني من اللهب و بأنّها ترمي بشرر كالقصر)) [٨٥] , حيث فُسِرَ معنى قوله : ﴿ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ و هو دخان خانق له ثلاث شعب من الأعلى و اليمين و اليسار .

ثمّ شبَّه الله سبحانه و تعالى الشرر المتطاير من النار بالقصر , فقد قيل : هو المعروف من البناء العظيم و نحوه [٨٦] , و قيل أيضاً ((هي أصول الشجر و النخيل العظام واحدتها قصرة)) [٨٧] , ثمَّ وصف هذا الشرر بوصفٍ ثانٍ ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ و تشبيه الشرر بشيئين أقوى و أثبت في النفس من التشبيه بشيء واحد , مما أعطى اتساعاً و بعداً دلالياً للنص , فهو شرر عظيم كبير كأنّه الجِمال الصفر , أو الحبال الغليظة التي تربط بها السُّفن , و قد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأنّ (جِمَالَةٌ صُفْرٌ) : ((قطعٌ من النحاس ... و معظم أهل اللغة لا يعرفونه)) [٨٨] , ثمَّ الويل لهؤلاء المكذبين بهذه الحقائق كلِّها و بعد تلك الآيات استأنف بقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ المرسلات ٣٥ – ٣٦ , لبيان حال الكفار بعدم الأذن لهم في النطق أو الاعتذار , و الفعل (يعتذرون) معطوف بالفاء على الفعل (يؤذنُ) و لم ينصب الفعل المضارع (يعتذرون) لأنّه لو نصب لكان مسبباً عن الفعل (يؤذن) , و قيل هو مستأنف أي (فهم يعتذرون) [٨٩], و ورد عن الفراء أنّه أختير الرفع لتتفق رؤوس الآي [٩٠] .

و إنْ قيل : قد ينافي عدم النطق آيات أُخر تثبت نطق الكفار في يوم القيامة فيردّ عليهم بأنَّه لا يوجد تنافي و تناقض بين الآيات ؛ لأنَّ اليوم (يوم القيامة) ذو مواقف عديدة تختلف فيما بينها , بعضها ينطقون بها , و بعضها الآخر يختم على أفواههم فلا ينطقون , قال تبارك و تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ هود ١٠٥ [٩١] . ثم يقول الله سبحانه و تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ المرسلات ٣٨ , و الجملة مقول قول محذوف تقديره : و يقال لهم هذا ... و هو يوم للفصل لأنّه يجمع بين السعداء و الأشقياء , و بين الأنبياء و أممهم , فلا بدّ من جمع الأولين و الآخرين حتى يكون الفصل بينهم , ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ و المعنى أنّهم في الدنيا استعملوا المكر و الخداع و الحيل في تكذيب الرسل فلا يستطيعون في الآخرة الخداع و المكر , و الخطاب هنا يدلّ على التقريع و التنكيل بهم , و فيه التفات بالضمير ((من التكلم مع الغير إلى التكلم وحده و النكتة فيه أنّ متعلق الأمر التعجيزي إنّما هو الكيد لمن له القوة و القدرة فحسب , و هو الله وحده , و لو قيل : فكيدونا فات الإشعار بالتوحد)) [٩٢] , و قد حذف الضمير من (فَكِيدُونِ) و هو الياء المفعول به و التقدير (فَكِيدُونِي) و ذلك لانسجام الفاصلة القرآنية في نهايات الآيات بمجيئها بحرف المد و اللين (الياء) و بحرف (النون) , و كذلك منه اختيار الرفع في الفعل المضارع (فَيَعْتَذِرُونَ) , ((و العرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافي , و القرآن نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع)) [٩٣] , ولا يخفى هنا ما للأثر الصوتي الذي تحدثه الفاصلة من تناسق صوتي إذ ختمت رؤوس الآي ((بحرف المد و اللين و النون و ليس بالضرورة للتمكن من التطريب , و لكنه يشكل ظاهرة بارزة في صيغ تعامل القرآن الكريم مع هذه الحروف مقترنة بالنون , و قد يخفى علينا السبب , و يغيب جوهر المراد , و مع ذلك فهو ملحظ متحقق الورود)) [٩٤] . ثمّ ينتقل السياق القرآني لوصف حال المؤمنين , فقال عزّ و جلّ : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات ٤١ – ٤٥ , كلام مستأنف ذكر فيه أحوال المؤمنين بإيجاز بعد أنّ ذكر أحوال الكافرين بإطناب , و ذلك ((ليتمَّ التعادل بين هذه السورة و السورة التي قبلها , و هي ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ... ﴾ فقد ذكر في تلك السورة أحوال الكفار على سبيل الإيجاز)) [٩٥] . إذ أعدَّ الله للمتقين ظلالاً و عيوناً في الجنة يتنعمون بها , و يأكلون و يشربون ما يشتهونه من ثمار الجنة و مائها و غير ذلك , و هذا الجزاء الذي أعدّه الله للمتقين هو من رحمته سبحانه و تعالى ؛ لأنّهم عملوا الصالحات في الدنيا و صدّقوا الرسل و آمنوا بالمعاد , حيث يقال لهم هنيئاً , و هنيء يطلق على ((كلّ شيء الذي فيه مشقة و لا يستتبعه قلق , و لذا يقال للماء و الغذاء السائغ " هنيء " و يطلق أحياناً على الحياة السعيدة)) [٩٦] , و فيه ((إشارة إلى أنّ فواكه الجنة و ثمارها و شرابها ليست كأغذية الدنيا و أشربتها التي تترك آثاراً سيئة في البدن , أو تترك أعراضاً غير مُرْضِية)) [٩٧] . و قد ذكر الله سبحانه : إنَّ هذا النعيم سيصيب المحسنين الذين يؤدون الأعمال الحسنة الصالحة , و ليس الذين يدعون الإيمان الكاذب الذين يعملون الفساد , و إن كانوا متظاهرين بالتقوى و الصلاح . ثمّ ينتقل الخطاب بالرجوع إلى المجرمين ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾ المرسلات ٤٦ , أي تمتعاً قليلاً في هذه الحياة الدنيا , فمصيركم إلى نار جهنم , و قد ذكر التمتع بالأكل ((لأنّ منكري المعاد

لا يرون من السعادة إلا سعادة الحياة الدنيا , و لا يرون لها من السعادة إلا الفوز بالأكل و التمتع كالحيوان العجم [٩٨] , قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ محمد ١٢)) [٩٩] .

ثمَّ جاء التعليل لدخولهم النار و استحقاقهم هذا العذاب (إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ) لتكذيبهم يوم الفصل و جزاء المكذبين به النار لا محالة , ثمَّ إنَّكم أُمرتم بالانقياد و الطاعة و الخضوع و التواضع لله سبحانه و تعالى , فلم يستجيبوا لذلك ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ المرسلات ٤٨ , ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ المرسلات ٥٠ , الفاء الفصيحة , و المعنى ((إن لم يؤمنوا بالقرآن , فيؤمنون بأيِّ شيءٍ ؟)) [١٠٠] بعد أن بيَّن الله لهم من الدلائل و البراهين القاطعة على وحدانيته و أنّه ((وحده لا شريك له و أنَّ أمامهم يوم الفصل بأوضح البيان و ساطع البرهان فبأيِّ كلام بعد القرآن يؤمنون)) [١٠١] . و لا شكّ أنَّ النسق الصوتي في رعاية الفاصلة قد برز كمعلم صوتي بارز تمثل في فواصل الآيات , إذ تكرر حرف النون بعد حرف المد (الياء) , وقد تمثلت في سمات منها حذف ((حرف ما رعاية للبعد الصوتي و عناية بالنسق القرآني))[١٠٢] كما ورد في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ المرسلات ٣٩ , و ﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ المرسلات ٤٢ , و منها مراعاة لجانب نحوي كما في قوله تبارك اسمه ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ المرسلات ٣٦ , و منها ما جاء لتمكن التطريب في الأداء الصوتي للقرآن الكريم , وقد تبين الإعجاز في هذا التناسق الرائع بين فواصل الآيات , مما أضفى جرساً موسيقياً يأخذ بالألباب و يشدُّ الإنتباه إلى المعاني . و يلاحظ أنّ سياق العذاب في الآيات السابقة تلازم الجمل الفعلية و تلاحقها بتسارع عجيب يشي بالشدة و الغضب و تأكيد ما يستحق هؤلاء (الكفار) من العذاب فيبدأ بفعل الأمر في آيتين واحدة تلو الأخرى ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ المرسلات ٣٠ – ٣١ , ثم تستمر الجمل الفعلية في التتابع لتدل على استمرار العذاب الواقع عليهم بسبب تكذيبهم ﴿ وَلَا يُغْنِي , تَرْمِي بِشَرَرٍ,لَا يَنْطِقُونَ , وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ ,فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ .

أما سياق النعيم فقد انماز بتلازم الجمل الاسمية التي تدل على ثبوت النعيم للمؤمنين المحسنين ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۞ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ المرسلات ٤١ – ٤٤ , فضلاً عن التنكير الذي لحق (ظِلَالٍ , عُيُونٍ , فَوَاكِهَ) لأنّ هذه النعم التي يحظى بها المحسنون تعدُّ من عالم الغيبيات التي لا يدركها البصر بل قد تتخيلها البصيرة .

الخاتمة

السياق القرآني هو تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى , و دلالة السياق القرآني تعدُّ من تفسير القرآن بالقرآن , لذلك قد اعتمدت شرعاً , و قد جاءت أبرز معالم دراسة سياقات سورة المرسلات في ثلاثة سياقات , و هي كالآتي :

١ – أوضح البحث في سورة المرسلات أنّ السياق الأول الذي تضمنته السورة هو سياق القسم و جوابه , إذ انمازت السورة بقصره على مستوى البناء اللغوي , مقارنةً بباقي سياقات السورة , لأنّه سياق قسم , و القسم يدلّ على وجود شيء عظيم مقسم به و هو بدوره يمهد لأمر عظيم سوف يقع لا محالة .

٢ – أمّا السياق الثاني فقد تمثل في سياق الاستدلال على القيامة من خلال علاماتها , حيث تميز بالإطناب ؛ لأنّه يتناسب مع غرض السورة ؛ لأنّها تستدل على شيء عظيم , وهذا الشيء العظيم هو يوم القيامة , إذ ذكرت تفاصيله , ثم الاستدلال على إمكانية البعث و النشور من خلال الإنكار على المنكرين المكذبين مع بيان قدرة الله عزَّ و جلَّ على ذلك , و ذكر نعم الله سبحانه و تعالى على البشر .

٣ – ثمّ بيَّن البحث سياق التقابل بين جزاء الكافرين , و ما أُعِدّ لهم من عذاب ؛ بسبب تكذيبهم و كفرهم , إذ انماز بأسلوب الأمر , و الوصف المتكرر لأحوال النار .

و بعد ذلك جاء وصف النعيم الذي ينتظره المتقون المحسنون , ثمَّ العودة إلى مصير المجرمين , و بيان إنّهم لم ينقادوا لأوامر الله سبحانه .

٤ – انمازت السورة المباركة بتكرار الآية ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عشر مرات , إذ اختصت كلَّ آية منها بسياقها الذي وردت فيه زيادة في الترهيب و الترغيب , و هي لازمة الإيقاع فيها , مثل ما تكررت لازمة سورة الرحمن بعد كلَّ نعمة من نعم الله على العباد ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ , كما تذكرنا بلازمة سورة القمر , بعد كلّ مشهد من مشاهد العذاب ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ , و تكرارها هنا على هذا النمط يعطي سمة خاصة و طعماً مميزاً للسورة .

الـــهـــوامـــش

١- ينظر : معجم المقاييس في اللغة ٣ / ١١٧ , و تهذيب اللغة ٩ / ٢٣٤ , الصحاح ٤ / ١٤٩٩-١٥٠٠ .
٢- السياق القرآني و أثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير , عبد الرحمن عبد الله المطيري,رسالة ماجستير , جامعة أم القرى , كلية الدعوة و أصول الدين , السعودية , ٢٠٠٨ م :٧١ .
٣- البحث الدلالي في تفسير الميزان , مشكور العوادي ١٣١ .
٤- الدلالة السياقية عند اللغويين , عواطف كنوش ٥٣ .
٥- مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب , محمد محمد يونس علي ٣١ .
٦- السياق القرآني و الدلالة المعجمية , ماجدة صلاح , المجلة الجامعة , ليبيا , العدد التاسع , ٢٠٠٧ : ٣
٧- ينظر : مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب ٣١ – ٣٢ .
٨- الكتاب , سيبويه ١ / ٢٨٦ .
٩- المصدر نفسه .
١٠- الكتاب ١ / ٢٨٦ .
١١- ينظر : الكتاب ١ / ٨٠ – ٨١ , و نظرية النحو العربي ٩٣ .
١٢- ينظر : أثر السياق في مبنى التركيب و دلالته ٧٣ – ٧٤ .
١٣- ينظر : دلائل الإعجاز ١٨٥ , و ٢٠٣ , و ٢٥٨ .
١٤- أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ / ٤٣٥ .
١٥- المستدرك , الحاكم ٤ / ٣٥٥ , و ينظر : مجمع البيان , الطبرسي ٤ / ٤١٤ .
١٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل , الشيرازي ١٤ / ٦٤٨ .
١٧- المصدر نفسه .
١٨- السياق القرآني و الدلالة المعجمية : ٢ .
١٩- ينظر : الدلالة السياقية عند اللغويين ٥٢ و ما بعدها .
٢٠- ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن , الطبري , تح محمود محمد شاكر ٢٤ / ١٢٢ , و التفسير الكبير , الفخر الرازي ٣٠ / ٢٦٤ – ٢٦٥ , و البحر المحيط , أبو حيان الأندلسي ١٠ / ٤١٢ .
٢١- الميزان في تفسير القرآن , الطباطبائي ٢٠ / ١٥٩ , و ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٤ / ٦٤٩ .
٢٢-ينظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٢٦٤ و ما بعدها .
٢٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٤ / ٦٥٠ .
٢٤- معجم المقاييس في اللغة ٧٥٩ .
٢٥- ينظر : إعراب القرآن , النحاس , تح الشيخ خالد العلي ٤ / ١٢٤ .
٢٦-التفسير الكبير ٣٠ / ٢٦٤ .
٢٧- الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٦٠ .
٢٨-ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ابن هشام , تح محمد محيي الدين عبد الحميد ٣ / ٣٠٨ .
٢٩- معجم المقاييس في اللغة (عصف) ٧٧٧ .
٣٠-المصدر نفسه ٧٧٨ .
٣١-التفسير الكبير ٣٠ / ٢٦٥ .
٣٢-الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٦٠ .
٣٣-الأمثل في تفسير كتاب المنزل ١٤ / ٦٤٩ .
٣٤-معجم المقاييس في اللغة (فرق) ٨٤٣ .
٣٥-الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٦٠ .
٣٦-ينظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٢٦٥ .
٣٧-الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٦٠ .
٣٨-ينظر : البحر المحيط ١٠ / ٤١٣ , و إعراب القرآن الكريم و بيانه , محيي الدين الدرويش ١٧٩/٨.
٣٩- الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٦٠ .
٤٠-المصدر نفسه .
٤١- من هذه السور (النبأ , و النازعات , و التكوير , و الإنفطار , و الإنشقاق ...) .
٤٢-معجم المقاييس في اللغة (طمس) ٦٢٥ .
٤٣-الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٦٣ .

٤٤-التفسير الكبير ٣٠ / ٢٦٩ .
٤٥-معجم المقاييس في اللغة (فرج) ٨٤٥ .
٤٦-المصدر نفسه (نسف) ١٠٢٤ .
٤٧-ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن , محمد بن جرير الطبري , تح أحمد محمود شاكر ٢٤/ ١٢٩ , و البحر المحيط ١٠ / ٤١٣ , و الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٤ / ٦٥١ .
٤٨-الصحاح في اللغة (وقت) ٢ / ٢٨٩ .
٤٩- الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ٢٦٣ .
٥٠- ينظر : التفسير الكبير ٣٠ / ٢٧٠ .
٥١-معجم المقاييس في اللغة (أجل) ٦١ .
٥٢- بيان النظم في القرآن الكريم من غافر حتى الناس , محمد فاروق الزين ٢٦٩ .
٥٣- الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٦٣ .
٥٤-جامع البيان في تأويل القرآن ٢٤ / ١٢٩ .
٥٥-الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٤ / ٦٥٢ .
٥٦- ينظر : التحرير و التنوير ١٥ / ٤٩٧ .
٥٧- ينظر : اللغة العربية معناها و مبناها , تمام حسان ٢١٦ .
٥٨-التحرير و التنوير ١٥ / ٤٩٨ .
٥٩- إعراب القرآن و بيانه ٨ / ١٧٩ .
٦٠- المصدر نفسه .
٦١- مختار الصحاح , الرازي (ويل) ٧٣٩ .
٦٢- التفسير الكبير ٣٠ / ٢٧٠ .
٦٣- مختار الصحاح (ويل) ٧٣٩ .
٦٤-التفسير الكبير ٣٠ / ٢٧٠ – ٢٧١ .
٦٥- ينظر : الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٦٤ , و الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٤ / ٦٥٣ .
٦٦- إعراب القرآن و بيانه ٨ / ١٨٠ .
٦٧- الصوت اللغوي في القرآن , محمد حسين الصغير ١٥٢ و ما بعدها , و ينظر : دراسات لغوية في القرآن الكريم و قراءاته , أحمد مختار عمر ٧٣ و ما بعدها .
٦٨- إعراب القرآن الكريم و بيانه ٨ / ١٨٠ .
٦٩- التفسير الكبير ٣٠ / ٢٧١ .
٧٠- ينظر : معجم القراءات القرآنية , أحمد مختار و عبد العال مكرم سالم ٨ / ٣٦ , و هي قراءة أبي عمرو و الأعرج و العباس .
٧١- التفسير الكبير ٣٠ / ٢٧١ .
٧٢- المصدر نفسه ٣٠ / ٢٧٢ .
٧٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن , الثعالبي ٤ / ١٩٢ .
٧٤- المصدر نفسه .
٧٥- إعراب القرآن و بيانه ٨ / ١٨١ .
٧٦- الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٦٧ .
٧٧- الأمثل في كتاب الله المنزل ١٤ / ٦٥٦ .
٧٨- معجم المقاييس في اللغة (كفت) ٩٣٠ .
٧٩- إعراب القرآن و بيانه ٨ / ١٨٤ .
٨٠- معجم المقاييس في اللغة (كفت) ٩٣٠ .
٨١- إعراب القرآن و بيانه ٨ / ١٨٤ – ١٨٥ .
٨٢- معجم المقاييس في اللغة (كفت) ٩٣٠ .
٨٣- المصدر نفسه (شمخ) ٥٣٦ .
٨٤- إعراب القرآن و بيانه ٨ / ١٨٤ – ١٨٥ .
٨٥-المصدر نفسه ٨ / ١٨٤ .
٨٦- المصدر نفسه ٨ / ١٨٥ .
٨٧-التفسير الكبير ٣٠ / ٢٧٥ .

٨٨- لباب التأويل في معاني التنزيل (المعروف بتفسير الخازن) , علاء الدين علي بن محمد البغدادي / ١٦٥ , و ينظر : معجم المقاييس في اللغة (قصر) ٨٩٢ .
٨٩- التفسير الكبير ٣٠ / ٢٧٦ .
٩٠- إعراب القرآن , النحاس ٤ / ١٢٥ , و ينظر : إعراب القرآن و بيانه ٨ / ١٨٨ .
٩١- معاني القرآن , الفراء ٣ / ٢٨١ .
٩٢- ينظر : الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٦٩ .
٩٣- المصدر نفسه ٢٠ / ١٧٠ .
٩٤- لباب التأويل في معاني التنزيل ٧ / ١٦٥ , و ينظر : إعراب القرآن , النحاس ٤ / ١٢٥ .
٩٥- إعراب القرآن و بيانه ٨ / ١٨٩ .
٩٦- الأمثل في كتاب الله المنزل ١٤ / ٦٦٦ .
٩٧- المصدر نفسه .
٩٨-ينظر : مختار الصحاح (عجم) ٤١٥ , إذ قال ((و كلُّ مَنْ لا يقدر على الكلام أصلاً فهو (أَعْجَمُ) و (مُسْتَعْجِم) . و (الأعْجَم) أيضاً الذي لا يفصح و لا يُبَيّن كلامَه و إنْ كان من العرب)) .
٩٩- الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٧٠ .
١٠٠- إعراب القرآن و بيانه ٨ / ١٩١ .
١٠١- الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ١٧١ .
الصوت اللغوي في القرآن ١٥٤ , و ينظر : الفاصلة في السياق القرآني , محمد حسين النقيب ٥-٦.

المصادر و المراجـــع

خير ما نبدأ به (القرآن الكريم) .

- إعراب القرآن , أبو جعفر النحاس , تح الشيخ خالد العلي , ط ٢ , دار المعرفة , لبنان – بيروت , ١٤٢٩ هـ , ٢٠٠٨ م .
- إعراب القرآن الكريم و بيانه , محيي الدين الدرويش , ط ٧ , دار ابن كثير , بيروت و دمشق , ١٤٢٠ هـ , ١٩٩٩م .
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل , الشيخ ناصر مكارم الشيرازي , ط ١ , مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام , إيران – قم , ١٤٢٦ هـ .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ابن هشام الأنصاري , تح محمد محيي الدين عبد الحميد , الناشر دار الطلائع , لبنان – بيروت , د ط .
- البحث الدلالي في تفسير الميزان , مشكور العوادي , ط ١ , مؤسسة البلاغ للطباعة و النشر و التوزيع , بيروت – لبنان , ١٤٢٤ هـ , ٢٠٠٣ م .
- البحر المحيط , أبو حيان الأندلسي , تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود , والشيخ علي محمد معوض , دار الكتب العلمية ,بيروت - لبنان, ط١ , ١٤١٣ هـ , ١٩٩٣ م .
- بيان النظم في القرآن الكريم , محمد فاروق الزين , ط ١ , دار الفكر, دمشق – سورية , ١٤٢٤ هـ , ٢٠٠٣ م .
- التفسير الكبير , الفخر الرازي , ط ١ , مكتبة عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الأزهر , مصر , د ت .
- تفسير التحرير و التنوير , محمد الطاهر بن عاشور , الدار التونسية للنشر , تونس , د ط , ١٩٨٤ م .
- تهذيب اللغة , أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري , تح محمد عوض مرعب , دار إحياء التراث العربي , بيروت , ط ١ , ٢٠٠١ م .
- جامع البيان في تأويل القرآن , محمد بن جرير الطبري , تح أحمد محمود شاكر , ط ١ , مؤسسة الرسالة , ١٤٢٠ هـ , ٢٠٠٠ م .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن , عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي , تح علي معوض و عادل عبد الموجود , ط ١ , دار إحياء التراث العربي , ١٤١٨ هـ , ١٩٩٧ م .

- دراسات لغوية في القرآن الكريم و قراءاته , أحمد مختار عمر , ط ٢ , عالم الكتب , القاهرة – مصر , ١٤٢٧ هـ , ٢٠٠٦ م .
- دلائل الإعجاز , عبد القاهر الجرجاني , تح محمود محمد شاكر , مكتبة الخانجي , القاهرة , ط ٥ , ١٤٢٤ هـ , ٢٠٠٤ م .

- الدلالة السياقية عند اللغويين , عواطف كنوش , ط ١ , دار السياب للطباعة و النشر و التوزيع , لندن , ٢٠٠٧ م .
- الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية , إسماعيل بن حماد الجوهري , تح أحمد عبد الغفور عطار , دار العلم للملايين ,بيروت - لبنان, ط ٤ , ١٩٩٠ م .
- الصوت اللغوي في القرآن , محمد حسين الصغير , ط ١ , دار المؤرخ العربي , بيروت – لبنان , ١٤٢٠ هـ , ٢٠٠٠ م .
- الطبقات الكبير (الطبقات الكبرى) , محمد بن سعد بن منيع الزهري , تح علي محمد عمر , ط ١ , مكتبة الخانجي , ١٤٢١ هـ , ٢٠٠١ م .
- الفاصلة في السياق القرآني , محمد حسين النقيب , ط ١ , دار عدن للطباعة , اليمن , ٢٠٠٨ م .
- اللغة العربية معناها و مبناها , د . تمام حسان , دار الثقافة , المغرب - الدار البيضاء , ١٩٩٤ م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن , و قف على تصحيحه و علق على الحواشي الشيخ أبو الحسن الشعراني , المطبعة الإسلامية , طهران , ١٣٧٣ هـ .
- مختار الصحاح , محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ) , دار الجبل , بيروت – لبنان , ١٤٠٧ هـ , ١٩٨٧ م .
- المستدرك على الصحيحين , محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري , تح مصطفى عبد القادر عطا , ط ٢ , دار الكتب العلمية بيروت , ١٤٢٢ هـ , ٢٠٠٢ م .
- معاني القرآن , أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء , تح محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي , عالم الكتب , بيروت , ط ٣ , ١٤٠٣ هـ , ١٩٨٣ م .
- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات و أشهر القراء , أحمد مختار , و عبد العال سالم , ط ٢ , مطبوعات جامعة الكويت , ١٤٠٨ هـ , ١٩٨٨ م .
- معجم المقاييس في اللغة , ابن فارس , تح شهاب الدين أبو عمرو , دار الفكر للطباعة و النشر , بيروت – لبنان , د ت .
- مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب , محمد محمد يونس علي , ط ١ , دار الكتاب الجديد المتحدة , بنغازي – ليبيا , ٢٠٠٤ م .
- الميزان في تفسير القرآن , السيد محمد حسين الطباطبائي , ط ١ , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت – لبنان , ١٤١٧ هـ , ١٩٩٧ م .
- لباب التأويل في معاني التنزيل , علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن , و بهامشه البغوي , المطبعة الكبرى ببولاق , مصر , ١٣٠١ هـ .
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث , نهاد الموسى , ط ١ , المؤسسة العربية للدراسات و النشر , ١٤٠٠ هـ , ١٩٨٠ م .

الرسائل الجامعية :

- أثر السياق في مبنى التركيب و دلالته دراسة نصية من القرآن , فتحي ثابت علم الدين , أطروحة دكتوراه , كلية الدراسات العربية و الإسلامية , المنيا , سنة ١٩٩٤م .
- السياق و أثره في التفسير دراسة نظرية و تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير , عبد الرحمن عبد الله المطيري , رسالة ماجستير , جامعة أم القرى , كلية الدعوة و أصول الدين , السعودية , ٢٠٠٨ م .

الدوريات :

- السياق القرآني و الدلالة المعجمية , ماجدة صلاح , المجلة الجامعة , العدد التاسع , الزاوية – ليبيا , ٢٠٠٧ م .